**المختار من كنوز السنة**

**الدكتور / محمد عبد الله دراز**

**عن ابى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا أسلم العبد فحسن اسلامه كتب الله كل حسنة كان ازلفها ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها وكان بعد ذلك القصاص : الحسنة بعشر امثالها الى سبع مئة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها " ( اخرجه البخارى ) تعليقا ( والنسائى ) مسندا**

**" إذا أسلم العبد فحسن إسلامه " لما كان الاسلام قد يطلق على مطلق الانقياد الظاهرى سواء أطابق القلب أم لا وكانت الاجزية الموعودة هاهنا أجزية أخروية شرطها التصديق القلبى لزم تقييده بذلك ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فحسن إسلامه " أى : فكان القلب فيه مصدقا للسان وليس المراد بحسن الاسلام هاهنا ما فهمه الشراح من وصوله الى مرتبة المراقبة فى الاعمال جسبما ورد تفسيره فى حديث ( جبريل ) بقوله – عليه السلام – " أن تعبد الله كأنك تراه " لان مانحن بصدده بيان حكم الداخل فى الاسلام أول مايدخل فيه قبل أن يباشر شيئا من الاعمال والحكم بكون الاسلام يمحو ما قبله من السيئات وينضم إليه ماسبقه من حسنات لا يتوقف على بلوغ هذه المرتبة الكاملة فقد قال تعالى ( وقال صلى الله عليه وسلم " أسلمت على ما اسلفت من خير "**

**ثم هاهنا اربغة احكام لاربعة انواع من العمل لان العمل إما قبل الاسلام او بعده وكل منهما إما حسنة أو سيئة**

**فالنوع الاول – الحسنة التى كسبها العبد قبل إسلامه وأليها الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم " كتب الله له كل حسنة كان أزلفها هذه الجملة ليست في ( البخارى ) ولكنها صحيحة مقبولة أحرجها ( النسائى ) وغيره ممن أخرج هذا الحديث يقال " أزلفه " إذا قدمه وقربه ويقال " تزلف هو " أى أمر الكرام الكاتبين بإثبات ذلك في صحفهم وهذا كناية عن الاعتداد بالعمل وقبوله والتزام الثواب عليه**

**لايقال : كيف يقبل الله عمل الكافرين ( إنما يتقبل الله من المتقين ) المائدة 27**

**لان الله تعالى لم يتقبل منه إلا وهو من المتقين فإن عمله في حال الكفر كان قاصرا عن تحصيل ثمرته واستحقاق اجره لوجود المانع من القبول وهو الكفر فلما زال المانع ثبت استحقاق الاجر على ان إعطاء الثواب للمؤمن على سابق عمله في الجاهلية لا يقتضى كون هذا الثواب حقا له استحقه قبل الاسلام او بعده بل يجوز ان يكون من باب المضاعفة لاعماله في الاسلام او من من باب التفضل المحض بالمزيد لمن بشاء من عباده كما قال ( ولدينا مزيد ) ق 35 وكما يتفضل على العاجز بإعطائه مثل ثواب العمل الذى كان يعمله وهو قادر**

**النوع الثانى : السيئة قبل الاسلام وفيها يقول صلى الله عليه وسلم " ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها " " المحور " ضد الإثبات والإزلاف إذا كان بمعنى التقديم مطلقا كان استعماله في تقديم الشر حقيقة ك استعماله في تقديم الخير**

**( ذلك بما قدمت أيديكم ) ال عمران 182 وأنا إذا كان بمعنى التقريب أى تقديم القربات الى الله فاستعماله في عمل السيئات من باب المشاكلة والمزواجة لقرينتها الاولى**

**وقد أخذ من هاتين الفقرتين أن الكافر تكتب عليه سيئاته ولا تكتب حسناته لانه جعل كتابة الحسنات ومحو السيئات معلقا على الاسلام فبالإسلام ربح الصفقتين فاخذ كل ماله وقضى كل ما عليه**

**ومن هنا يخطر بالبال تأويل آخر للأحاديث الدالة على دخول الجنة بمجرد الشهادة يضاف إلى التأويلات التى قدمناها سابقا وهو ان تلك الاحاديث واردة فيمن كان كافرا فأسلم فهو عند دخوله في الاسلام بهذه الشهادة قد وضعت عنه كل سيئاته وأثبتت له حسناته فيما مضى من عمره فمثل هذا إذا قلنا " وجبت له الجنة " و " حرمت عليه النار " أخذت الكلمتان بكل معناها فدخل الجنة مع السابقين وحرمت عليه النار قليلها وكثيرها يعنى بحسب هذا العمل فلا ينافى أنه إن بقى بعد ذلك يفتتح عهدا آخر ويستأنف حسابا جديدا لاعماله في الاسلام خيرها وشرها وهذان هما :- النوعان الثالث والرابع المذكوران في قوله صلى الله عليه وسلم " وكان بعد ذلك القصاص " " القصاص " هو المقاصة في الدين والمحاسبة عليها بالتماثل بدون حيف ولا غبن وأصله من " القص " وهو تتبع الأثر كأن كل واحد من المتعاملين يتبع صاحبه ليطلبه بما عليه ويعطيه ماله وليس معنى القصاص هاهنا القود بالمثل كما في قوله تعالى ( كتب عليكم القصاص ) البقرة 178 وقوله ( والحرُمت قصاص ) البقرة 194 وقوله ( والجروح قصاص ) المائدة 45 لان ذاك خاص بالمكافأة على الإساءة بخلاف ما هنا فإنه يشمل المجازاة بالخير والشر ثم ليس المراد بالمقاصة المحاسبة والمجازاة بالفعل بل المراد تقييد هذا الحساب بما له وما عليه في صحائفه حتى يجىء وقت المحاسبة في الآخرة حيث يقال ( ) ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم فصل كيفية المقاصة والمحاسبة في جملتين مستأنفتين استئنافا بيانيا بقوله " الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مئة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها )**

**كثير من المتعاملين يبنون معاملاتهم على الحرص والمشاحة حتى إن أحدهم قد يثبت حقه عند صاحبه وينسى حق صاحبه عنده اما معاملة الله لعباده فإنها على ميزان القسط : له عليهم حق يطالبهم نه ولهم عليه حق فرضه على نفسه الا يضيع عمل عامل ولا يظلم مثقال ذرة بل يحصى لكل عمل عله ويوفيه جزاءه يستوى في المعدلة عنده المؤمن والكافر غير ان حسنات الكافر لما لم يقصد بها وجه الإله الحق وكانت في الوقت نفسه مؤدية لمصالح عاجلة عجل له جزاؤها في طيبا الحياة الدنيا لان الجزاء من جنس العمل حتى إذا لقى الله تعالى لم يكن له عنده مطالبة بثواب وإنما يلقى ما عليه من عقاب**

**( ) النور 39**

**من اجل ذلك لم تكتب للكافر حسناته ولم يكن له عند الله إلا صحيفة واحدة هى صحيفة السيئات اما المؤمن فله عمل معتد نه قطعا وهو الايمان الذى لا يوفى اجره في الدنيا وإنما يوفاه يوم القيامة فهذا في صحيفة الحسنات وقد يكون له اعمال من دون ذلك إما إحسان أو إساءة أو تخليط فكل ذلك مكتوب له وعليه فهذا من فضل الله على المؤمنين ان كتب لهم الحسنات التى لم يكتبها للكافرين**

**ثم إنه تعالى تفضل على المؤمنين فوق ذلك بأن جعل السيئة بمثلها تكتب سيئة واحدة ثم هى بعد قابلة للتجاوز والعفو والحسنة بعشر أمثالها تكتب عشر حسنات ثم هى قابلة للتضعيف إلى أكثر من ذلك " إلى سبع مئة ضعف " أى إلى مئات كثيرة وأضعاف مضاعفة من الحسنات فليس المراد التحديد بل التكثير كما هو معروف من ( لسان العرب ) في عدد السبعة وعدد السبعين وعدد السبع مئة ويؤيد ذلك ما أورده ( البخارى ) في الرقاق بلفظ " إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة " فما أعظم فضل الله على المؤمنين ) يوسف 38 اما طريق المقاصة المنبه عليها في الحديث فهو ان تقابل الحسنات وما تستحقه من ثواب بالسيئات وما تستحقه من عقاب إن لم يتجاوز الله عنها فأيهما غلب صاحبه كان الحكم له فإن غلبت الحسنات أدخل الجنة مباشرة وإن غلبت السيئات ادخل النار حتى يستوفى ماعليه وإن تساوتا فالترجيح للايمان هذا هو ما تقتضيه القواعد**

**لا يقال : كيف تكون السيئة محبطة للحسنة والله تعالى يقول ( إن الحسنات يذهبن السيئات ) هود 114 وإنما تحبط الحسنات بالكفر بعد الايمان لاننا لا نقول بإحباط إحداهما الاخرى بل نقول لكل منهما جزاؤها المقسوم ( الزلزلة 7 و 8 وليس معنى الاية ان الحسنات ولو قليلة تذهب السيئات ولو كثيرة فكل شىء عنده بمقدار والميزان بالقسط المستقيم وإنما المعنى والله اعلم على التوزيع أن كل حسنة تمحو من السيئات بقدرها ثم إن بقى شىء من السيئات بدون حسنة تمحوه جوزى نه وقد صرح بهذا المعنى حديث ( البخارى ) عن ( ابى هريرة ) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وكذلك حديث ( مسلم ) عن ( أبى هريرة ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ( أخرجه البخارى ) تعليقا ( والنسائى ) مسندا : كلاهما اخرجه في باب ( حسن إسلام المرء ) من كتاب الإيمان وكلاهما أخرجه من طريق ( مالك بن أنس ) عن ( زيد بن أسلم ) عن ( عطاء بن يسار ) عن ( ابى سعيد الخدرى ) إلا أن ( البخارى ) لم يذكر السند بينه وبين ( مالك ) وإنما قال " قال ( مالك ) أخبرنى ( زيد بن أسلم ÷ إلخ ... " وأما ( النسائى ) فقال : أخبرنى ( احمد بن المعلى ) قال : حدثنا ( صفوان ) قال حدثنا ( مالك ) عن ( زيد بن أسلم ) إلخ ... وهذا معنى كونه مسندا عند ( النسائى ) ومعلقا عند ( البخارى ) لان المسند هو ماذكر سنده كله والمعلق ماحذف سنده كله أو حذف بعض سنده من الطرف الذى يلى المحدث**